

### الفصل الثالث

#### أسباب تأجيج شهوة الجنس من خلال سورة يوسف عليه السلام

تمهيد

إن الحديث عن أسباب تأجيج الشهوة عند الإنسان- كما بينته سورة يوسف عليه السلام- يعني الحديث عن وسائل الشيطان وأعدائه: في تغيير أصول الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها، وأعظم أصول هذه الفطرة: هي فطرة العفاف، فإنها إن تغيرت تغير معها -تبعاً- أحكام وممارسات كثيرة في حياة الشخص والأسرة والمجتمع، كغض البصر، ومنع الخلوة، وضبط الاختلاط، والفصل بين الجنسين، وعدم اتخاذ الأصدقاء بين الجنسين، وخفض صوت المرأة، وعدم خضوعها به، والحجاب، وإخفاء المفاتيح منعاً للإثارة، وغير ذلك من الشرائع التي تحفظ العفاف وتحميه.<sup>118</sup>

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كَلْوَإِمْمًا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيْبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ

(168) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿119﴾ .

118 يُنظر: الطريفي، عبد العزيز بن مرزوق. ط.1، 1436 هـ-2015 م، الحجاب في الشرع والفطرة. ن: دار المنهاج ج.1. ص.23.

119 القرآن. البقرة 2: 168 - 169

وتحقيقاً لضمان الطهر والعفاف الذي يحفظ أصول هذه الفطرة، وحرصاً على سلامة المجتمع من أسباب الفتن ومظاهرها، فقد اجتهد الباحث في استنباط وبيان أهم الأسباب التي يراها وقوداً مفجراً لشهوة الجنس، وركز بحثه على امرأة العزيز التي تمكنت منها هذه الأسباب فكان نتيجة ذلك سلسلة متتابعة من السقطات الأخلاقية والمشاكل الأسرية والمجتمعية.

لقد اجتمعت تلك الأسباب في امرأة العزيز وتضافرت بحيث لم تعد تملك من أمرها شيئاً، ولعل أهم تلك الأسباب هو ما يلي: "المرادة، والاختلاط والحلوة والإغواء" وسيوضح الباحث ذلك في مبحثين:

### 3.1 المرادة وأثرها في تأجيج شهوة الجنس من خلال سورة يوسف عليه السلام

تمهيد:

إن الحديث عن المرادة في التصور الإسلامي، يعني الحديث عن ظاهرة الانحراف عن الفطرة السليمة الطاهرة، وما يترتب عليها من الأمراض الخطيرة المؤدية إلى فساد الحياة و تفكك وانحيار المجتمع. وللمحافظة على أصول هذه الفطرة، فقد جاءت الشريعة الإسلامية آمرة المؤمنين بالتخلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل، وسدّت السبل المؤدية إليها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾<sup>120</sup>، فأمر سبحانه المسلمين بالابتعاد عن كل ما يفضي للوقوع بالفواحش والانزلاق وراء الشهوات، كالاختلاط، والحلوة، والنظر المحرم.

120 القرآن. الإسراء: 17: 32

كما أمرنا سبحانه باتباع طريق الحق الموصل إلى الصراط المستقيم، وحذّرنا من طُرُق الانحراف الموصلة إلى طُرُق الضلال، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾<sup>121</sup>؛ إذ لا تستوي حياة أهل الاستقامة، الذين اتبعوا الهدى وأوصلهم إلى طُرُق الكرامة، وحياة أهل الشقاء، الذين اتبعوا طريق الهوى، فأوصلهم إلى طُرُق الضلالة، فالأول في يسر وسعادة وهناء، والثاني في تعثر وشقاء.

### 3.1.1 المراودة في اللغة والاصطلاح

#### 3.1.1a المراودة في اللغة

تنوّعت مدلولات كلمة (رود) في معاجم اللّغة، فعبر الخليل الفراهيدي عن أحد معانيه بأن المراودة فيها قلق وعدم اطمئنان لذلك قال: "رَادَ يَرُودُ إِذَا جَاءَ وَدَهَبَ، وَلَمْ يَطْمَئِنَّ، وَرَجُلٌ رَائِدُ الْوَسَادِ إِذَا لَمْ يَطْمَئِنَّ عَلَيْهِ، لَهُمْ أَقْلَقُهُ"<sup>122</sup>، وهذا يعني أنّ المراودة يتخللها قلق وعدم اطمئنان. أمّا ابن فارس فذكر معنى مهم وهو الميل، فقال: "والمروود: الميل، وهذا يدل أن الميل يكون على مراحل وليس دفعة واحدة"<sup>123</sup>. وأضاف الفيومي معنى آخر للمراودة فقال: "وَكَأَنَّ فِي الْمُرَاوَدَةِ مَعْنَى الْمَحَادَعَةِ لِأَنَّ الطَّالِبَ يَتَلَطَّفُ فِي طَلْبِهِ تَلَطُّفَ الْمَحَادِعِ وَتَحْرِصُ حِرْصَهُ وَازْتَادَ الرَّجُلُ الشَّيْءَ طَلْبَهُ وَزَادَهُ يَزِيدُهُ رِيَادًا مِثْلُهُ وَالْمِرْوُودُ بِكَسْرِ الْمِيمِ آتَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَالْجَمْعُ الْمَرَاوِدُ"<sup>124</sup>.

121 القرآن. الملك 67: 22

122 الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين. تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (د.ط)، دار ومكتبة الهلال. ج.8. ص.64.

123 ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي. 1399هـ-1979م. معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام هارون، (د.ط) بيروت: دار الفكر. ج.2. ص.457

124 الفيومي، أحمد بن محمد بن علي. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. بيروت: المكتبة العلمية. ج.1، ص.245.

وبعد استعراض هذه المدلولات من كتب المعاجم تبين للباحث أن مادة (رود) تحمل في طياتها

أربعة معان وهي:

1. القلق وعدم الاطمئنان.
2. فعل المرادة يتم من طرف واحد تجاه آخر.
3. الميل.
4. المخادعة يتخللها ملاحظة لتحصيل المراد.

### 3.1.1b المرادة في الاصطلاح

عبّر الراجز الاصفهانى عن معنى المرادة: "بأنها منازعة الغير في إرادته بحيث تجبره على ما تريده أنت، لا ما يريد هو"<sup>125</sup>. وذكر ابن عطية بأن المرادة: "هي الملاحظة في السوق إلى غرض، بحيث يختبر المراد بأقواله وتلفظه حال المراد من الإجابة أو الامتناع"<sup>126</sup>. فالمراد يحاول جذب الآخر مرّة بعد مرّة، كمرادة الرجل المرأة عن نفسها، (أو المرأة للرجل عن نفسه) فهي مجازة ومجازية، فكل (مرادة) في القرآن تأتي بمعنى مجازة ومجازية.<sup>127</sup> وهو ما ذهب إليه الزمخشري "ورأوته في قوله تعالى: ﴿وَرَأَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾"<sup>128</sup>، أي: خادعته عن نفسه، أي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج من يده، يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه"<sup>129</sup>.

125 الاصفهانى، المفردات في غريب القرآن. ص. 371.

126 ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ج3 ص232.

127 يُنظر: جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقى المؤصل لألفاظ القرآن الكريم. ط.1 - 2010. القاهرة: مكتبة الآداب. ج.2. ص785.

128 القرآن. يوسف 12: 23

129 الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد بن أحمد. ط.3-1407هـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. بيروت: دار الكتاب العربي. ج.2. ص455.

وهكذا يجد الباحث بعد استعراض أقوال العلماء والمفسرين في معنى المرادة ما يأتي:

1. أن المرادة فيها محاولة لإجبار الطرف الآخر على تغيير إرادته وإرغامه على فعل ما لا يريد.

2. أن المراد يستعمل كل الحيل ووسائل الخداع ليؤثر على إرادة المراد.

3. أن المرادة تتم بأسلوب رقيق ناعم بعيداً عن الخشونة والفظاظة.

وفي الجمع بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي يتبين للباحث أن المرادة: تتم من طرف واحد تجاه آخر بسبب ميل واهتمام تجاهه، لتحقيق مُرادِه بشئى الأساليب، دون ثبات واستقرار، يعترِبها قلق واضطراب.

### 3.2 الأسباب التي دفعت امرأة العزيز إلى مرادة يوسف عليه السلام

سَطَرَ القرآن الكريم الأحداث التي عاشها يوسف عليه السلام في جو القصور وهيمنة النساء، فجاءت قصته كنموذج إيجابي في بناء صرح أخلاقي، فقد تحلى عليه السلام بِمُخلِقِه الرفيع واستقامته الخيرة، وعفّته الطاهرة، مع سحر حَلِقِه الباهر، فكان لهذا الكمال الخَلْقِي والمُخلَقِي أثراً إيجابياً في بيان رجولته الكاملة التي تجلّت بعد بلوغه الأشد، وأثراً سلبياً في افتتان امرأة العزيز له، فكان لهذا الافتتان الدافع الرئيس في طلبها للمرادة.

ويعرض الباحث في هذا المطلب الأسباب التي دفعت امرأة العزيز إلى مرادة يوسف، وذلك في

عدة فروع:

#### 3.2.1 مرحلة بلوغ الأشد

3.2.1a: الدلالات والقيم المستنبطة في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ عَاقَبْتَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا

وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿130﴾

يرى الباحث أن الخطر العظيم الذي واجه يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز كان عند بلوغ

الأشد، هذه المرحلة التي فيها استكمال القوة وتناهي البأس، واكتمال العقل، حيث تكون الشهوة في أوج ذروتها وانطلاقها.

### 3.2.1b : أقوال المفسرين والعلماء

بيّن الحق سبحانه وتعالى بعد أن توفرت في يوسف عليه السلام دواعي البشرية، واكتملت قوته واستوى شبابه، وتناهى عقله وكمل فهمه، آتاه الله الحكم والنبوة الذي حبسه على الحقّ وصرفه عن الباطل، فامتنع عما راودته امرأة العزيز عن نفسه.<sup>131</sup>، وما ذهب الطبري بقوله: " أن يوسف وصل الى مرحلة استكمال القوة وتناهي البأس."<sup>132</sup>، وللمفسرين اختلاف في تحديد سن يوسف عليه السلام لما بلغ أشده فذهب الفخر الرازي إلى أن: "البلوغ الأشد عند دخوله في السنة الخامسة عشرة فيكمل بهذا العمر العقل ويبلغ إلى حد التكليف وتتحرك فيه الشهوة".<sup>133</sup>، وبعض المفسرين يذكر غير هذا وليس ترجيح قول على قول من صلب الرسالة ومطالبها.

ومهما يكن فإن محنة يوسف كانت في هذه المرحلة، وما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَآتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22) وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾<sup>134</sup>، إشارة واضحة أن فعل المرادة من زوجة العزيز جاء بعد البلوغ الأشد ليوسف عليه السلام.

وفي سياق آخر من القرآن الكريم، ما يؤكد أهمية مرحلة الشباب والبلوغ الأشد، ما جاء حكاية عن موسى عليه السلام لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَآتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ

131 يُنظر: القشيري، عبد الكريم بن هوازن، لطائف الإشارات ط.3. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ج.2. ص.177.

132 الطبري، تفسير جامع البيان في تأويل القرآن. ج.15 ص.23.

133 الفخر الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). ج.18 ص.436.

134 القرآن. يوسف 12: 22-23

تَجْرِي الْمَحْسِنِينَ ﴿١٣٥﴾، وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾<sup>136</sup>، ما قاله ابن كثير

رحمه الله: ﴿إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾، أي قوي وشب وارتمل، ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾؛ أي تنهى عقله وكمل

فهمه. 137

### 3.2.1c: القيم المستنبطة

يرى الباحث أهم القيم المستنبطة من قوله تعالى: ﴿عَاتِبْنَهُ حُكْمًا وَعَلَمًا﴾، قيمة العلم التي يجب أن

يتحلى بها جميع الشباب في استثمار طاقاتهم في بناء القواعد الأخلاقية؛ التي تقوم عليها أصول التربية

السليمة، كخلق الصدق والأمانة والعفة وغيرها من الأخلاق الفاضلة. هذه الأصول التي ورثها الأنبياء

عليهم السلام، ودلت عليها كتب القرآن والسنة، كما جاء من حديث أبي الدرداء، قوله ﷺ: «إن الأنبياء

لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم»<sup>138</sup>، وجاء وعد الله لمن سلك طريق هذه الفضيلة بأن يسهل الله

له طريقاً إلى الجنة، كما جاء من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول ﷺ: «... ومن سلك طريقاً يلتمس

فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»<sup>139</sup>، ومصدقاً لقوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ

أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾<sup>140</sup>.

يتبين للباحث مما سبق أن الخطر العظيم الذي واجه يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز خاصة،

ويواجه الشباب عامة، يكون بعد مرحلة البلوغ، حيث تكون الشهوة في أوج انطلاقتها، لذلك حث النبي ﷺ

135 القرآن. الفصص 28: 14

136 القرآن. الأحقاف 46: 15

137 يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 158

138 أبو داود. سليمان بن الأشعث. كتاب سنن أبي داود. باب الحث على طلب العلم. ج 3، ص 317. تحقيق: محمد محي الدين عبد

الحמיד، بيروت: المكتبة العصرية، خلاصة حكم المحدث: له شواهد يتقوى بها. رقم الحديث 3641.

139 مسلم، أبو الحسين ابن الحجاج النيسابوري. صحيح مسلم. كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. باب فضل الاجتماع على تلاوة

القرآن، وعلى الذكر. رقم الحديث 2699.

140 القرآن. المجادلة 58: 11

الشباب على تحصين أنفسهم إلى كل ما يحفظ عليهم صحتهم، ويستبقي قوتهم، ويصون أخلاقهم بقوله ﷺ: «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».<sup>141</sup>، كما أشار ﷺ إلى عظيم العطاء والثواب من الله سبحانه لمن حصن نفسه بقوله ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا، قَالَ: إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ».<sup>142</sup>، وقوله ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك».<sup>143</sup>

ووجه الاستدلال من الأحاديث الثلاثة السابقة، حرصه ﷺ وحثه على الزواج للمستطيع، حفاظاً على الشباب وعفتهم، واغتناماً لشبابهم وقوتهم، ووقاية من الوقوع في الفاحشة والآثام، وإنما حُص بها الشباب لحاجتهم إليها بحكم نوازعهم الفطرية، ثم يأتي الصوم بعد ذلك كحل مؤقت لمن لا يستطيع الزواج حتى يكون في مأمن من نوازع النفس وغواية الشيطان.

### 3.2.2 النفس الأمارة بالسوء

الحديث عن النفس الأمارة بالسوء، متلائم مع الحديث عن اتباع خطوات الشيطان، فكلاهما يقوي بعضها بعضاً، لأن أعظم المفسد وأقبح الأشياء التي أشار إليها القرآن الكريم، تكمن في اتباع خطوات الشيطان والاستجابة لرغباته، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كَلُومًا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (168) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا

141 البخاري. صحيح البخاري، باب: من استطاع منك الباءة فليتزوج، (3/7). رقم الحديث: 5065.

142 البخاري. صحيح البخاري. باب فضل من ترك الفواحش، (163/8). رقم الحديث: 6806.

143 الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. كتاب: المستدرک علی الصحیحین. 1411هـ، (341/4). رقم الحديث: 7846.

لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٤٤﴾. ففي هذه الآية دلالة واضحة وتحذير جلي من اتباع خطوات الشيطان، لأنه لا يهدي إلا إلى طريق جهنم وبئس المصير.

**3.2.2a: الدلالات والقيم المستنبطة في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**

إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾

يرى الباحث أن اعتراف امرأة العزيز بالاستجابة للنفس الأمارة بالسوء، هو بيان للعدو الباطن الذي ينبغي للمؤمن أن يحذره كحذره من الشيطان، فهي عدو يغفل عنه كثير من الناس وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، يقود من اتبعه إلى كبائر الذنوب وصغائرها.

**3.2.2b: أقوال المفسرين والعلماء**

تقدم أن امرأة العزيز قد خسرت وخضعت لسلطة النفس الأمارة بالسوء، وقد نبه المفسرون إلى خطورة هذا العدو الباطن وقوة تأثيره على صاحبه إذا لم ينضبط بقيود الشرع.

قال ابن عاشور في تفسيره: ما أبرىء نفسي من محاولة هذا الإثم، لأن النفس أمارة بالسوء وقد أمرني بالسوء ولكنه لم يقع... وجملة إن النفس لأمارة بالسوء تعليل لجملة وما أبرىء نفسي، أي لا أدعي براءة نفسي من ارتكاب الذنب، لأن النفوس كثيرة الأمر بالسوء. <sup>146</sup>، وقال السعدي: "ما أبرىء نفسي أي: من المراودة والهّم، والحرص الشديد، والكيد في ذلك. ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ أي: لكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء، أي: الفاحشة، وسائر الذنوب، فإنها مركب الشيطان، ومنها يدخل على الإنسان". <sup>147</sup>

144 القرآن. البقرة: 168 - 169

145 القرآن. يوسف: 53

146 يُنظر: ابن عاشور. 1984. التحرير والتنوير. ج. 13. ص. 5

147 السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ص. 80

وما نقله أهل العلم عن النفس الأمارة بالسوء يؤيده كلام علماء السلوك بأنها النفس الجامعة

لقوة الغضب والشهوة في الإنسان، وهي التي أذغنت وأطاعت مقتضى الشهوات ودواعي الشيطان.<sup>148</sup>

### 3.2.2c: القيم المستنبطة

يرى الباحث أهم القيم المستنبطة، تكمن في مجاهدة النفس على طاعة الله، وذلك في عدم الاستجابة للنفس الأمارة بالسوء، وعدم اتباع خطوات الشيطان، وذلك لسد منافذ الشر والفساد والابتعاد عن فعل الفواحش والمنكرات، وقد روي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>149</sup>، أي الذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا، وإن الله لمع المحسنين، بالنصر والمعونة في دنياهم وبالثواب والمغفرة في عقباهم.<sup>150</sup>

### 3.2.2d: شواهد قرآنية للنفس الأمارة بالسوء

أولاً: في قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ..﴾<sup>151</sup>، تؤكد هذه الآية أن أعظم المعاصي التي دفعت امرأة العزيز إلى مراودة يوسف عليه السلام، تكمن في استجابتها للنفس الأمارة بالسوء، هذه الاستجابة التي دفعتها إلى تحقيق رغباتها في طلب الفاحشة، وقد فصل الباحث دلالة هذه الآية في سياق هذا الفصل.

ثانياً: ما جاء في سياق السورة، أن النفس الأمارة بالسوء كانت السبب الرئيس في إقدام إخوة يوسف للتخلص منه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ

148 يُنظر: محمد الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة. ج. 3. ص. 4

149 القرآن. العنكبوت 29: 69

150 يُنظر: البغوي، محمد بن الفراء الشافعي، تفسير البغوي، 1420هـ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، بيروت: دار إحياء التراث للنشر

العربي. ج. 3، ص. 568

151 القرآن. يوسف 12: 23

أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٥٢﴾، وحال هذه الآية كحال آية ابني آدم، إذ كانت النفس سبباً بأن أرغمت قتل الأخ لأخيه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿١٥٣﴾

ويخلص الباحث من خلال الآيات وأقوال أهل العلم أَنَّ النَّفْسَ الأَمَارَةَ بالسُّوءِ هي أحد أهم أسباب إقدام الإنسان على المعصية، وهي أكبر جالب للصفات المذمومة، إذ في اتباعها وعدم تركيتها وتهذيب طباعها من الأمراض الخطيرة المؤدية إلى انحراف الإنسان في فكره وسلوكه.

### 3.3 المرادة وأثرها في تأجيج شهوة الجنس كما وردت في سورة يوسف عليه السلام

تجلّت محنة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز عن أسمى مواقف الشرف والعفاف النادرة، وهو ما تصوره آيات المرادة كأمّودج مشرف لشباب الأمة في مواجهة الفتن لتحصّنهم بسلاح العفة والنزاهة التي تحصّن بها هذا النبي، وقد أشارت آيات فتنة المرادة التي تعرّض لها يوسف عليه السلام في أربعة مواضع من السورة، يفصلها الباحث كما ذكرها العلماء والمفسرون في الفروع التالية:

3.3.1 دلالة المرادة في قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْنَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ...﴾ ﴿١٥٤﴾

يرى الباحث في دعوة امرأة العزيز وإقدامها على تغليق الأبواب، ما كان إلا بعد محاولات عديدة من الغواية والإغراء، حتى وصل بها الحال المعبر عن هيجانها وتمالكها لدعوتها الأخيرة إلى فعل الفاحشة مع يوسف.

152 القرآن. يوسف 12: 18

153 القرآن. المائدة 5: 30

154 القرآن. يوسف 12: 23

## أولاً: أقوال المفسرين والعلماء

تقاربت أقوال المفسرين والعلماء عن معنى المرادة، من ذلك ما نقله الطبري حيث قال: "أن امرأة العزيز من شدة لوعة قلبها وحبها ليوسف غلقت جميع الأبواب، لتؤمن عليه وتدعوه أن يواقعها".<sup>155</sup>، ويقول الزمخشري: "كأن المعنى : خادعته عن نفسه، أي : فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج من يده، يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه، وهي عبارة عن التحمل لمواقفته إياها".<sup>156</sup>، ومثله قول الفخر الرازي: "بأن امرأة العزيز طمعت بيوسف وافتتنت بجماله، وضماناً لمرادها أحكمت إغلاق الأبواب، ثم دعت إلى نفسها".<sup>157</sup>، ومن لطائف هذا الموضوع ما قاله محمد رشيد رضا: "أن امرأة العزيز أرادت من يوسف غير ما أراده هو وما أراده الله من فوقهما، أرادت أن يكون عشيقاً لها، وراودته عن نفسه، وأراد زوجها أن يكون ولدًا لهما، فجاءت إرادة الله خلاف ما أرادوا، فحصل ما أراده الله والله غالب على أمره".<sup>158</sup>

وخلاصة ما قاله المفسرون: بأن امرأة العزيز أحبت يوسف عليه السلام حباً شديداً لحسنه وجماله، لدرجة أنها دعت لنفسها أن يواقعها، وفعلت في مرادتها له فعل المخادع، لتخرجه عمّا هو فيه إلى ما تطلبه.

## ثانياً: القيم المستنبطة

من المقامات التي وصل إليها يوسف عليه السلام في هذه الفتنة، مقام الرقابة الإلهية والاعتصام بالله، وبيان ذلك ما جاء في سياق هذه الآية بقوله: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ رداً على طلب امرأة العزيز في فعل الفاحشة، هذا الرد لا شك أنه من كمال الإيمان الذي تحلّى به يوسف عليه السلام، وهو السبب الذي

155 الطبري، تفسير جامع البيان في تأويل القرآن. ج. 16. ص. 24

156 الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ج. 2. ص. 455

157 الفخر الرازي، مفاتيح الغيب. ج. 18. ص. 438

158 المنار، تفسير القرآن الكريم. ج. 12. ص. 227

كان عوناً له من الابتعاد عن صغائر الذنوب وكبائرها، ليصل بهذا الإيمان وهذا الورع إلى مقام الإحسان، الذي ذكره رسول الله في الحديث بقوله ﷺ: الإحسان « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ».<sup>159</sup>

**3.3.2 دلالة المرادة في قوله تعالى:** ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ

شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾<sup>160</sup>

يظهر للباحث من ذم النسوة لامرأة العزيز لحبها المفرط ليوسف وحرصها الشديد على فعل الفاحشة معه مدى استهجان هذا الفعل عند كل الناس، فهو غاية في القبح والبشاعة، بل هو غاية الذل والهوان، ويبين مدى انتكاس فطرتها، وعلى الضد من ذلك يظهر سمو يوسف عليه السلام فهو أظهر، وأوفى منها وأبر، كونها هي الطالبة وهو الممتنع.

**أولاً: أقوال المفسرين والعلماء:**

قال الطبري في قوله تعالى: ﴿ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ... ﴾ عندما شاع أمرهما وافتضح، وقلن: امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ "عبيدها عن نفسه" بغرض التقليل من شأنها.<sup>161</sup>، وهو ما تبينه مقولة ابن عطية: أن هؤلاء النسوة إنما قصدين بما المكر بامرأة العزيز ليغضبنها حتى تعرض عليهن يوسف عليه السلام ليبين عُذْرَهَا أو يحق لومها.<sup>162</sup>، وما قاله محمد رشيد رضا: "مرادة امرأة العزيز فتاها عن نفسه يراد

159 البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، (19/1). حديث رقم 50.

160 القرآن. يوسف 12: 30

161 يُنظر: الطبري، تفسير جامع البيان في تأويل القرآن. ج 16. ص. 62-63

162 يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ج 3. ص. 238.

به لازمه، وهو التعجب والإنكار الصوري، وذلك من عدة وجوه؛ فيه إهانة وتحقير لمركز المتحدث عنها

وهي امرأة عزيز مصر، استمرارها على ذنبها ومراودتها رغم افتضاح أمرها ومعرفة سيدها وزوجها".<sup>163</sup>

**وخلاصة ما قاله المفسرون:** أن موقف النسوة ونشر فضيحة امرأة العزيز "بمراودة فتاها عن

نفسه.. "ما كان إلا تكاية، وفضحاً للضلال، بأن يُزِيلَنَّ امرأة العزيز عن كبريائها، وينشرن فضيحتها، كونها

تهين نفسها وتحقر مركزها بأن تكون مراودة لرجل عن نفسه، وشأن مثلها - إن سخت بعفتها - أن تكون

مراودة عن نفسها لا مراودة لغيرها كما تقدم، إذ من شأن المرأة أن تكون مطلوبة لا طالبة.

**ثانياً: القيم المستنبطة:**

من القيم التي يراها الباحث في هذه الآية؛ المحافظة على أعراض الناس وعدم التجسس و نشر

الشائعات، وذلك لما يعود بالمصلحة العامة لسلامة وأمن المجتمع، والمحافظة على ستر أعراض الناس، لأن

إشاعتها بين اوساط المؤمنين يجرئ الناس على الإقدام عليها ويجعلهم يستسهلون الوقوع فيها، فتوهم العوام

ضعفاء النفوس بأن المنكرات والفواحش أمور تجري بشكل طبيعي، مما يهدد المنظومة الأخلاقية وانهايار

المجتمع، لذلك توعده سبحانه بحببها بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَلَّهُ يَعْلَمُ وَآتَتْهُ لَا تَعْلَمُونَ

﴿<sup>164</sup>، وللمحافظة على ستر أعراض الناس، فقد بيّنت السنة النبوية ذلك، بقوله ﷺ: «المسلم أخو المسلم

لا يظلمه ولا يسلمه،... إلى قوله؛ ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة».<sup>165</sup>

163 المنار، تفسير القرآن الكريم. ج 12 ص 240.

164 القرآن. النور: 24: 19

165 البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. كتاب المظالم والغصب . باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه. ص 585 رقم الحديث

2442، مسلم، أبو الحسين ابن الحجاج النيسابوري. صحيح مسلم. كتاب البر والصلة والآداب. باب تحريم الظلم. ص. 659. رقم

الحديث 2580.

ويرى الباحث موافقة ما أجمع عليه المفسرون، في انسلاخ امرأة العزيز من فطرتها، والتفريط

بعفتها وطلبها للمراودة، وهذا ما يتوافق مع منهج القرآن في تهذيب شهوة الجنس.

**3.3.3 دلالة المراودة في قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ زَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَكُنْتَنَ

وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿166

يرى الباحث أن امرأة العزيز لم تكتف بهمها بالقول، وإنما أصرت على طلبها ونقذت همها

بالفعل، وما جاء في اجتماع" ولقد، ولئن" في قول امرأة العزيز فيه إشارة واضحة على نيتها الفاسدة ومكرها

السيئ في فعل الفاحشة، وأما يوسف عليه السلام فاستعصم وأبى وأثر مرضاة ربه وامتنع امتناعاً كلياً،

وجاءت شهادة من راودته عن نفسها معترفةً بإبائه ونزاهته أمام النسوة بقولها: ﴿فَاسْتَعَصَمَ﴾، ففي

إصرارها وإذلال نفسها على فعل الفاحشة قمةً في الذل والهوان، وفي اعتصامه وثباته كمالاً وعزّةً بتمام

العبودية لله سبحانه.

**أولاً: أقوال المفسرين والعلماء:**

تطابقت أقوال المفسرين والعلماء بإقرار امرأة العزيز بعصمة يوسف عليه السلام بعد حادثة

المراودة، ومن ذلك ما نقله الطبري حيث قال: "اعترفت امرأة العزيز للنسوة بعصمة يوسف عليه السلام، ثم

أقرت لهن بأنها قد راودته عن نفسه، وذلك بعد لومهم لها بأنه قد شغف فؤادها حباً".<sup>167</sup>، ومثله ما نقله

الشوكاني: "أن امرأة العزيز ضاق صدرها عن كتم ما تجده في قلبها من حبها ليوسف، فأقرت ببرائته

وصرّحت بمراودته، فاستعف وامتنع مما تريد طالباً العصمة لنفسه عن ذلك".<sup>168</sup>، وكذلك ما قاله الألوسي:

166 القرآن. يوسف 12: 32

167 الطبري، تفسير جامع البيان في تأويل القرآن. ج. 16. ص. 85

168 الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. فتح القدير، ج 3. ص. 28

عندما شاهدت امرأة العزيز استعصام يوسف عليه السلام، على ما آتاه الله من كمال القوة وعنفوان الشباب، عَظُمَ اعتقادها بطهارته ونزاهته، فاكتفت بالتعريض ببرائته، فاستحتت من نفسها أن ترميه بالكذب بأن تقول: يوسف قصدي بسوء.<sup>169</sup>، وأخيراً ما قاله محمد رشيد رضا: "بأن امرأة العزيز أظهرت عجزها بمراودة فتاها، فأقرت ببراءته، بعد أن تجلّى بروحه الملكية أمامها، متمسكاً بعروة عصمته، وعلوّ مقامه ومراقبته لخالقه".<sup>170</sup>

**وخلاصة ما قاله المفسرون:** لما لم يتحقق المراد لامرأة العزيز، ورأت في نفسها الانتصار لما وصلت إليه من الكيد والتدبير، لم تجد في نفسها حرج في كشف ما قالته وصرّحت بما وقع منها بجرأة ووقاحة لتحسم الأمر بأنها هي المراودة.

**ثانياً: القيم المستنبطة:**

أهم القيم المستنبطة من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَصَمَ﴾، هو التخلّق بأخلاق الأنبياء والثبات في زمن الفتن والابتلاء، ومعلوم أن الأنبياء أشد الناس ابتلاءً، ثم يتلوهم الصالحون والأمثال فالأمثال، كما جاء في حديث مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: « يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً، قَالَ: "الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ"». <sup>171</sup>، وهذا موافق لسنة الحياة كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ <sup>172</sup>، فإذا كان الأنبياء أشد من غيرهم ابتلاءً، فإن النجاة لمن ثبت على منهج

169 يُنظر: الألوسي. روح المعاني، ج 6. ص. 410

170 المنار، تفسير القرآن الكريم. ج 12 ص 243.

171 الترمذي. أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة. سنن الترمذي. باب ما جاء في الصبر على البلاء. تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، (179/4). رقم حديث 2398.

172 القرآن. العنكبوت 29: 2-3

التوحيد الصحيح وتخلق بأخلاقهم أن يعصمه الله من الوقوع بهذه الفتن، وفي عصمة يوسف عليه السلام من فتنة امرأة العزيز درساً لشباب الأمة للاقتداء بعفته وطهارته والتخلق بأخلاقه.

ويرى الباحث أن جرأة امرأة العزيز، وكذلك تداول النسوة للخبر بتلك الطريقة دليل على انسلاخ الناس من جلباب الحياء، حتى باتت الرذيلة على مرآى ومسمع من الناس، والقرآن يهدف من تسطير وتصوير تلك المشاهد أن نضع أيدينا على الجرح فنعرف أسباب الفساد ونصلحها.

### 3.3.4 دلالة المراودة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا حَطَبُكَنَّ إِذْ رَوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا

كَلِمَتَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ لَنْ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾<sup>173</sup>

يرى الباحث بهذه الأدلة الدامغة وبهذا الاعتراف بياناً واضحاً بنظافة يوسف عليه السلام وبرائه وصدقه، وما دلّت عليه الآية في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ، تأكيداً على ظهور الحق وسطوع البراءة ليوسف، ونفياً للتهمة التي رمي بها كذبا وزورا.

#### أولاً: أقوال المفسرين والعلماء:

من ذلك ما ذهب إليه الزمخشري؛ " بأن النسوة لم يترددن في إثبات براءة ونزاهة يوسف عليه السلام وذلك عند سؤال الملك لهن، فزعمن إنهن خصومه لكنهن خضعن للبينات الواضحات، قال رحمه الله: ﴿ مَا حَطَبُكَنَّ إِذْ رَوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ﴾..؛ كما لم يترددن بإظهار طهارته بقولهن ﴿ حَاشَ لِلَّهِ ﴾ تعجباً من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها، ﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ لَنْ حَصَّصَ الْحَقُّ ﴾ أي ثبت واستقرّ، ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على أنفسهن بأنه لم يتعلق بشيء

مما قذفته به، وإذا اعترف الخصم بأن صاحبه على الحق وهو على الباطل، لم يبق لأحد مقال.<sup>174</sup> وما نقله الفخر الرازي: "بأن امرأة العزيز شهدت شهادة جازمة بأن يوسف عليه السلام، كان مبرأ عن كل الذنوب مطهراً عن جميع العيوب، وأن النسوة شهدن في المرة الأولى بطهارته ونزاهته بقولهن: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ ، وفي المرة الثانية: ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ...﴾، وفي المرة الثالثة: أقرت امرأة العزيز بطهارته حيث قالت: ﴿وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ...﴾<sup>175</sup>.

وخلاصة ما قاله المفسرون: أن النسوة أجمعن على تبرئة يوسف عليه السلام من فعلة المراودة، كما جاء على لسان امرأة العزيز في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ، مما يدل على براءة يوسف عليه السلام دلالة قاطعة.

#### ثانياً: القيم المستنبطة:

يرى الباحث من أهم القيم المستنبطة التي ساعدت يوسف على الثبات في مواجهة الحن، إضافة إلى صبره وعفته وتقواه، هي فضيلة الصدق، وذلك كما جاء على لسان امرأة العزيز بالشهادة الكاملة على براءة يوسف وصدقه عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ لَنْ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾<sup>176</sup>. وبياناً لصدقه ما جاء في شهادة الشاهد في قد القميص من قبل امرأة العزيز، فعرف صدقه عليه السلام وبراءته، وأن امرأة العزيز هي الكاذبة.

174 الرمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ج2 ص 478-479

175 الفخر الرازي، مفاتيح الغيب. ج. 18. ص. 467-469

176 القرآن. يوسف 12: 51

### 3.4 الاختلاط والخلوة والإغواء وأثرها في تأجيج شهوة الجنس من خلال سورة يوسف

تمهيد:

اعتنت الشريعة الإسلامية بصيانة الأعراض وحمايتها، وشرعت الاستمتاع المعقول داخل نطاق الزواج بقصد المتعة وتوفير جميع أسباب الراحة النفسية للمسلم، كما منع الشارع الحكيم جميع الأسباب المفضية للفاحشة وما هو خارج نطاق الزوجية كالاختلاط والخلوة؛ تجنباً للوقوع في الرذيلة، وحمايةً للأعراض ومنعاً لنشر الفساد.

وللمحافظة على الأعراض وصيانتها، وضع الشارع الحكيم قواعد وضوابط أخلاقية تضمن الطهر والعفاف وتنميته وتصونه، ونهى عن التساهل والتفريط في تلك القواعد؛ لأنها صمام أمان، ومن هذه الضوابط منع الاختلاط والخلوة، وذلك لما لها من خطر حقيقي على الأعراض؛ إذ هي طريق ذو اتجاه واحد من دخله لم يستطع الرجوع منه.

#### 3.4.1 الاختلاط والخلوة في اللغة والاصطلاح

##### 3.4.1a الاختلاط في اللغة

إذا نظر الباحث في المعاجم العربية يجد أن مادة (خ ل ط) تدل على معان كثيرة تندرج في معنى عام، وهو ما نقله الخليل في معجمه: "خلط: اختلط الشيء بالشيء وخالطه خلطاً. والخالط: اسم كل نوع من الأخلاط كالدواء ونحوه... والخليط أيضاً من السمن فيه لحم وشحم. والخليط: تين وقت مختلطان.."<sup>177</sup> وقال ابن منظور: "خالط الشيء بالشيء يخالطه خلطاً وخالطه فخالطاً: مزجه وخالطاً. وخالط الشيء مخالطاً وخالطاً: مزجه. والخالط ما خالط الشيء، وجمعه أخلاط.."<sup>178</sup>

177 الفراهيدي.(المصدر السابق).ج.4. ص.218

178 ابن منظور، لسان العرب. ط 1414، 3هـ، بيروت: دار صادر، ج.7. ص.291

وقد ورد هذا المعنى اللغوي العام في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَمْلِكُ قُلُوبَهُمْ قُلْ أُعْطِيَتْهَا لِمَنْ يُشَاءُ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَمْلِكُ أَمْوَالَهُمْ قُلْ أُعْطِيَتْهَا لِمَنْ يُشَاءُ﴾

إِصْلَاحٌ لَهُمْ حَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَاخْوَانُكُمْ<sup>179</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخَالِطَةِ لَأَبْنَىٰ بِبَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾<sup>180</sup>.

كما ورد هذا المعنى العام في السنة المطهرة، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَدَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَدَاهُمْ»<sup>181</sup>.

ويخلص الباحث أن المعنى اللغوي العام للاختلاط: هو إدراج أو اندراج أمر في أمر، سواء تباينت الأجزاء أو صارت كأمر واحد، وهو قسمان: (حسي) و(معنوي).

فالحسي: كخلط الأشياء الحسية التي تدل على ضم شيء إلى شيء آخر ومزجه به، كخلط التمر باللبن، والتين والقت وغيرها.

والمعنوي: يكون في الأمور المعنوية على ضرب من التشبيه والاستعارة، كخلط الحق بالباطل، والصادق من الكاذب والمؤمن والمنافق.

### 3.4.1b الاختلاط في الاصطلاح

رغم ورود هذا المصطلح في كثير من أبواب الفقه وكتب التفسير فقد وجد الباحث أن مفهوم الخلط والاختلاط لا يتعد عن المعنى اللغوي العام، وإن وجدت شروطاً شرعية تتعلق بكل باب.

179 القرآن. البقرة: 2: 220

180 القرآن. ص: 38: 24

181 ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني. كتاب: سنن ابن ماجه. باب الصبر على البلاء. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي. (1338/2). صححه الألباني. رقم الحديث. 4032.

وقد جمع المناوي عدة تعاريف لمن سبقه منها قوله: الخلط: الجمع بين أجزاء شيئين فأكثر مائعين

أو جامدين أو متخالفين، وهو أعمُّ من المزج. قال المرزوقي: أصله تداخل الأشياء بعضها في بعض، وتوسع

فيه حتى قيل رجل خليط إذا اختلط بالناس كثيراً.<sup>182</sup>

ويرى الباحث أن الاختلاط بين الجنسين "رجالاً ونساءً" لا يخرج عن المعنى العام في اللغة،

ولذلك لا تجد للمتقدمين تعريفاً يخصه، وقد وضع بعض المحدثين تعاريف له، كقول بعضهم: هو اجتماع

الرجال بالنساء الأجنبية، في مكان واحد، بحكم العمل، أو البيع، أو الشراء، أو الزهدة، أو السفر، أو

نحو ذلك...<sup>183</sup>

### 3.4.1c الخلوة في اللغة

يدور معنى هذا الجذر في اللغة على معنى الانفراد، والتجرد عن شيء أو أشياء، وقد يتوسع في

استعماله إلى بعض المعاني، كالحداق والموت والإرسال - بمعنى الترك - وغيرها والتي ترجع إلى المعنى الأصلي.

وقد عرّفه الخليل: "خلو: خلأ يخلو خلأً فهو خلأٌ. والخلأ من الأرض: قرار خلأ لا شيء فيه

والرجل يخل خلوةً واستحلّيث الملك فأخلاني أي خلأ معي وأخلى لي مجلسه، واخلاني، واخلأني وفلانٌ خلأ

لفلان أي خادعه وخلّى مكانه أي مات وخلّيث عنه أي أرسلته. وخلأ قرن أي مضى، فهو خلأ...<sup>184</sup>

وقال صاحب القاموس: "خلأ المكان خلأً واخلأ، وأخلّى واستحلّى: فرغ. ومكانٌ خلأة: ما فيه

أخذٌ. وأخلأه: جعله أو وجدّه خالياً. واخلأ: وقّع في موضعٍ خلأ لا يُراحم فيه، كأخلّى...<sup>185</sup>

182 يُنظر: المناوي، زين الدين محمد، 1410هـ-1990م، التوقيف على مهمات التعاريف، ط1، القاهرة: عالم الكتب 38 عبد الخالق

ثروت، ص. 159.

183 يُنظر: إبراهيم بن عبد الله الأزرق، الاختلاط بين الواقع والتشريع، ص. 9.

184 الفراهيدي، كتاب العين، ج. 4، ص. 307.

185 الفيروزآبادي، مجد الدين، 1426هـ- 2005 م . القاموس المحيط، ط8. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف:

محمد نعيم العرقسوسي. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ص. 1280.

### 3.4.1d الخلوّة في الاصطلاح

يلاحظ الباحث هنا ما لاحظته في الاختلاط؛ فقد تعدد استعمال الخلوّة في عدة أبواب وفنون،

فهي تستعمل عند الصوفية مثلاً بمعنى: العزلة أو غيرها من المعاني الروحية التي يرتضيها القوم.<sup>186</sup>

وقد عرفها الساعاتي بقوله: "انفراد رجل أجنبي بامرأة أجنبية في مكان يأمنان فيه من دخول أحد

عليهما"<sup>187</sup>

### 3.4.2 الاختلاط والخلوّة وأثرهما في تأجيج شهوة الجنس من خلال سورة يوسف

تمهيد

إن الحديث عن الاختلاط والخلوّة في التصور الإسلامي، هو الحديث عن المقدمات التي تسبق

ارتكاب الفواحش سواء الظاهرة منها والباطنة، والطرق المؤدية إليها، كالزنى ومقارنته، ومخالطة أسبابه

ودواعيه، يقول الطبري في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾<sup>188</sup>، أي: لا

تقربوا طريق أهل المعاصي، المخالفين لأوامر الله، لأنّها من أسوأ الطرق المؤدية إلى نار جهنم.<sup>189</sup>

وما يؤكّد خطر الاقتراب من الفواحش الظاهرة والباطنة، أنه جاء النهي عنها في النص القرآني

في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ..﴾<sup>190</sup>، وكذلك جاء في الصحيحين، عن

186 محمد التهانوي. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. ط1. 1996م، تحقيق: د. علي دحروج، بيروت: مكتبة لبنان. ج1 ص. 764.

187 أحمد البنا الشهير بالساعاتي، بلوغ الأماني من اسرار الفتح الرباني. القاهرة: دار الشهاب. ج15-ص76.

188 القرآن. الإسراء: 17: 32

189 يُنظر: الطبري، تفسير جامع البيان في تأويل القرآن. ج. 17. ص. 438.

190 القرآن. الأنعام: 6: 151

ابن مسعود، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرّم الفواحش

ما ظهر منها وما بطن، ولا شيء أحب إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه».<sup>191</sup>

وفي سياق الحديث عن الاختلاط والخلوّة الموصلتين إلى ارتكاب الفواحش، فقد ساق لنا القرآن الكريم في هذه السورة واحدة من أشهر قصص التحرش الجنسي في التاريخ التي تمارسها امرأة مع رجل، وهي امرأة العزيز مع نبي الله يوسف، التي راودته عن نفسها، وقد فصلّ الباحث مرحلة البلوغ الأشد ليوسف عليه السلام والذي كان من أهم الأسباب في فتنة المرادة، وفي هذا المطلب يفصلّ الباحث أسباب تأثير الاختلاط والخلوّة، المتمثلة بطول مكث يوسف عليه السلام في بيت العزيز، وافتتان امرأة العزيز والنسوة بجماله؛ وذلك في فرعين:

#### 3.4.2a مكوث يوسف المستمر في بيت العزيز ومرحلة التبي

بدأت مراحل الفتن ليوسف عليه السلام في بيت العزيز، بعد انتهاء محنة الحب، وما نتج عنها من مخاوف وآلام، هذه المراحل تؤكدُها الآيات في سياق السورة، بدءاً من مرحلة التبي كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۗ ﴾<sup>192</sup>، مروراً بمرحلة بلوغ الأشد، في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾<sup>193</sup>، وانتهاءً بدخوله السجن، في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ ۗ ﴾<sup>194</sup>.

191 البخاري. كتاب صحيح البخاري. باب ولا تقرّبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، (57/6)، رقم الحديث: 4634، مسلم، أبو الحسين ابن الحجاج النيسابوري. كتاب: المسند الصحيح. باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش، (2114/4). رقم الحديث: 2760.

192 القرآن. يوسف 12: 21

193 القرآن. يوسف 12: 22

194 القرآن. يوسف 12: 33

ويعرض الباحث في هذا الفرع مرحلة اتخاذ يوسف عليه السلام كولد، وما جرى من امرأة العزيز من

خطر المكوث في بيتها، وحبها الشديد له، الذي أوصلها إلى تلك المراودة.

أولاً: دلالة آية النبي في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ

يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۗ ۝١٩٥

### 1. الدلالات المستنبطة:

يرى الباحث الخطر في اتخاذ يوسف كولد واختلاطه مع امرأة العزيز في أمرين:

أ. الوجود الدائم ليوسف وغيره من الخدم ومن في مقامهم في البيت دون رقابة أو ضوابط شرعية يُعَدُّ من

عوامل الانحراف والفساد ومدخلاً واسعاً للإغراء المؤدي لارتكاب المعاصي والفحشاء، وما جاء في الآيتين

في قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۗ ۝١٩٦، وقوله تعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ

نَفْسِهِ ۗ ۝١٩٧، يؤكد أن المقاصد الحسنة لا تنفي وقوع المحذور، وذلك بعد حادثة التبني واتخاذ ولدًا في

صغره؛ جاء الهم منها والمراودة عن نفسه في كبره.

ب. الوجود الدائم للمتبني في بيئة اجتماعية فاسدة، مع غياب الوازع الديني والأخلاقي، من أخطر الأضرار

في نشر الرذيلة والفساد في المجتمع، وموقف عزيز مصر السلي وفقدانه للغيرة اتجاه فعلة زوجته، يؤكد ذلك،

كما جاء على لسانه، بقوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ

ۗ ۝١٩٨، وذلك بعد بيان براءة يوسف عليه السلام، بشهادة الشاهد وحكمه بإزالة التهمة عنه.

195 القرآن. يوسف 12: 21

196 القرآن. يوسف 12: 21

197 القرآن. يوسف 12: 23

198 القرآن. يوسف 12: 29

## 2. أقوال المفسرين والعلماء:

ذكر المفسرون أن شراء يوسف عليه السلام كان لإحدى علتين: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَنْجِيَهُ وَوَلَدًا﴾ كما صرحت بذلك الآية الكريمة، ولذلك يقول السعدي رحمه الله: "إما أن ينفعنا كنفع العبيد بأنواع الخدم، أو أن نستمتع فيه استمتاعنا بأولادنا".<sup>199</sup>، ويقول محمد رشيد رضا: "بأن يكون اتخاذه كواحد منا ولا يكون كالعبيد والخدم، وعلل ذلك بما يدل على أمله ورجائه فيه، وهو ﴿عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ بالقيام ببعض شؤوننا أو شؤون الدولة العامة لما يلوح عليه من محاليل الذكاء والنباهة، ﴿أَوْ نَنْجِيَهُ وَوَلَدًا﴾، فيكون قرة عين لنا، ووارثاً لمجدنا ومالنا".<sup>200</sup>، وأخيراً ما ذكره الشعراوي في تفسيره: هذه اللقطة تبين لنا الفساد الذي ينشأ في البيوت التي تتبنى طفلاً، أنهم لا يحسبون حساب المسألة حين يبلغ هذا الطفل مبلغ الرجال، فقد يقع المحذور ويدخل المتبني في متاهة الخطيئة.<sup>201</sup>

ويخلص الباحث أن من أهم الأسباب المؤدية لظاهرة الانحراف وسيطرة الغريزة هو الوجود الدائم للمتبني في البيوت عامة، وفي المجتمعات التي غاب عنها الوازع الديني والأخلاقي خاصة، كحال حكام القصور في المجتمع المصري الذي عاش فيها يوسف وقتئذ، لهذه الأسباب وغيرها من المفاصد، أبطل الإسلام التبني تشريعاً للأمة وحفاظاً على الأعراض وخلط الأنساب.

### 3.4.2b افتتان امرأة العزيز والنسوة بجمال يوسف

تعدّ مرحلة عشق امرأة العزيز ليوسف عليه السلام والافتتان بجماله، من أصعب مراحل الفتن التي مرّ بها هذا النبي بعد بلوغه مرحلة الأشد، وواحدة من الأسباب التي حرّكت شهوة الجنس عند امرأة العزيز،

199 السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ص. 395.

200 المنار، تفسير القرآن الكريم. ج 12 ص 225.

201 ينظر: الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي - الخواطر. ج. 11. ص. 6898.

بل كانت السبب الرئيس في إضرار شعلة الحب في قلبها، حتى شاع خبرها وذاع في المدينة، وهو ما بينته

الآية في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا

لَنرَبُّهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾<sup>202</sup>

وقد ذكر ابن القيم-رحمه الله- " أن مرض العشق هذا شمل طائفتين من الناس، وهم اللوطية

والنساء، فأحبر عن عشق امرأة العزيز ليوسف عليه السلام، وما راودته وكادته به، وأخبر عن الحال التي

صار إليها يوسف بصبره وعفته وتقواه، مع أن الذي ابتلي به أمر لا يصبر عليه إلا من صبره الله".<sup>203</sup>

وقد أعطى الله يوسف من الجمال شيئاً كبيراً جعل من يراه يشك في آدميته، وهو ما حدث للنسوة

لما رأينه ﴿ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾<sup>204</sup>، فلم يلتفت إليهن البتة ورأين عليه هيبة

النبوة وهيبة الرسالة، وسببها الطهارة، قلن إنما رأينا فيه أثراً من أثر الشهوة، ولا شيئاً من الصفات البشرية،

وهذه الصفات هي صفات الملائكة المطهرون.<sup>205</sup>

وهذا المعنى أكدته السنة النبوية، كما جاء من حديث معراج الرسول ﷺ عند وصوله إلى

السماء الثالثة: «.. فإذا أنا بيوسف وإذا هو قد أُعطي شطر الحسن»<sup>206</sup>.

ووجه الاستدلال من الحديث، بأن العطاء الذي وهبه الله ليوسف عليه السلام من الحسن

والجمال كان من أهم أسباب افتتاح امرأة العزيز، حتى طمعت فيه، وأذلت نفسها لتراوده عن نفسه.

202 القرآن. يوسف 12: 30

203 ابن قيم الجوزية. 1418هـ-1997م. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. المغرب: دار المعرفة. ص. 208.

204 القرآن. يوسف 12: 31

205 يُنظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب. ج. 18 ص. 449

206 مسلم، أبو الحسين ابن الحجاج النيسابوري. كتاب: صحيح مسلم. باب: الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم،

تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (145/1). رقم الحديث: 259.

### 3.4.3 أساليب الإغواء وأثرها في تأجيج شهوة الجنس من خلال سورة يوسف

#### تمهيد

قبل الحديث عن أساليب الإغواء وأثرها في تأجيج الشهوة، لا بد من معرفة الأسباب التي دفعت امرأة العزيز إلى محاولة إغراء يوسف عليه السلام.

والجواب كما يراه الباحث أن مراودة امرأة العزيز وتغليق الأبواب دونه، لم تأت إلا بعد طول نظر ومراقبة، وطول خلوة ومخالطة، هذان السببان اللذان ولدا الألفة لديها حتى أشعل نار الحب في قلبها. ولهذا أشار التعبير القرآني إلى أعظم الأساليب التي استعملتها امرأة العزيز لإغواء يوسف عليه السلام، كما جاء في قولها بعد تغليق الأبواب "هَيْتَ لَكَ"، هاتان الكلمتان جاءت اختصاراً لمرادها، وبيّناً صريحاً لمقصودها.

وفي هذا المطلب يفضل الباحث، دلالات الآية في قوله تعالى: "وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ" .. وإلى الأضرار الناتجة عنها وذلك في فرعين:

#### 3.4.3a دلالة آية التغليق في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ..﴾<sup>207</sup>.

أولاً: الدلالات المستنبطة:

1. إن المتأمل في التعبير القرآني البليغ في مرحلتي، (التغليق، والقول)، بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾، يجد أنها ذُكرت بإيجاز شديد، تلميحاً دون إفصاح، وذلك كناية عن قبح هذه الدعوة، كونها محرمة للغرائز من جهة، وتنزيهاً عما يستهجن ذكره من جهة أخرى، وجاء المعنى في صيغة المبالغة في ﴿وَعَلَّقَتِ﴾، مناسباً لرغبة امرأة العزيز المتهاكمة.

2. في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ بيان للخطوات التي قامت بها امرأة العزيز

من أجل تنفيذ رغبتها، وتحقيق مقصودها، وقد انقسمت إلى خطوتين: خطوة عملية: ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ ،  
، خطوة قولية: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ ، وبهذا تكون الآية في قوله تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ﴾. <sup>208</sup>، قد سبقت مرحلة ( التعليق، والقول).

3. أشارت آية تغليق الأبواب إلى الجوانب الفطرية بواقعية عظيمة، وإلى الفوارق الشهوانية الموجودة

بين امرأة العزيز ويوسف عليه السلام، بين من انسلخت من فطرتها ونشأت على الرذيلة، وقالت: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ ، وبين من تربي على الفضيلة والقيم النبيلة، وقال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ ، فالأولى؛ استجابت لدواعي الشيطان، ففقدت عقلها وبصيرتها، فتحكمت بها شهوتها فأوصلتها إلى طلب الرذيلة، والثانية: استجاب يوسف لدواعي الرحمن واتبع منهج الله، فجمع بين مقتضى الحكمة والعقل، فاستطاع بتوفيق الله أن يكبح جماح شهوته.

ثانياً: أقوال المفسرين والعلماء:

ما نقله الرازي: " وغلقت الأبواب والسبب أن ذلك العمل لا يؤتى به إلا في المواضع المستورة لا

سيما إذا كان حراماً، ومع قيام الخوف الشديد. وقوله: وغلقت الأبواب أي أغلقتها". <sup>209</sup>

وما نقله الشعراوي أن امرأة العزيز قد غلقت الأبواب؛ لأن من يفعل الأمر القبيح يعلم قُبْح ما

يفعل، ويحاول أن يستر فعله. <sup>210</sup>

208 القرآن. يوسف 12: 23

209 الفخر الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). ج. 18. ص. 438.

210 ينظر: الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي - الخواطر. ج. 11. ص. 6907.

خلاصة ما قاله المفسرون: ما أقدمت عليه امرأة العزيز من تغليق الأبواب، ودعوتهما السافرة إلى

فعل الفاحشة، وإصرارها على ذلك، يحمل كل معاني الخيانة والابتذال، وتعبيراً عن الحال الذي أوصلها إلى  
انسلاخ فطرتها.

ويرى الباحث أن تغليق امرأة العزيز للأبواب ومرادتها ليوسف هو نتيجة حتمية لعدة مقدمات،

منها: الاختلاط، والخلوة، ورقة الدين وغيرها...، فوجب على الأمة أن تمنع النتائج بمنع مقدماتها؛ لأن  
النار تشتعل بالوقود في قانون الأسباب، ونحن مكلفون على وفق هذا القانون، لا على قاعدة (يا نار كوبي  
بردا وسلاماً على إبراهيم).

### 3.4.3b الأضرار الناتجة عن آية (التغليق، والقول)

يعرض الباحث الأضرار الناتجة عن آية (التغليق، والقول)، وذلك بأمرين: في إطلاق البصر المسبب

في إثارة الشهوات، وإلى الخطر من الاختلاط والخلوة وإلى الأضرار الناتجة عنها.

#### أولاً: إطلاق البصر سبب في إثارة الشهوات.

لما كان النظر من أهم المنافذ إلى القلب، وأمر طرق الحواس إليه، وطريقاً إلى إثارة الشهوات، يرى

الباحث ضرورة تقديم ضرره، عن يقية الأضرار، لأن الحق سبحانه وتعالى جعل في غض البصر الأمان

الذي يحمي المؤمن والمؤمنة من إثارة الشهوة الجنسية، ويسد الطريق دونها، وذلك لما لها من خطر حقيقي

على هتك الأعراض، ولذلك أمر الحق سبحانه بغض البصر، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ

أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ 30 وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ

أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿211﴾، فقد أمرنا ربنا - عزَّ وجلَّ - بغضِّ البصر؛ لأنها صمام الأمان الذي

يحمي المؤمنين من الانزلاق في هذه الجرائم البشعة، ويسد الطريق دونها؛ فأمر المؤمنين بغضّ أبصارهم، وأمر

المؤمنات بعدم إبداء الزينة، وهكذا جعل المناعة في كلا الطرفين.<sup>212</sup>

ولأهمية الحديث عن أساليب الإغواء في هذه الدراسة، يعرض الباحث الآيات والأحاديث التي

توضّح خطر إطلاق البصر المؤدي إلى ارتكاب الفواحش وذلك في عدة نقاط:

**1:** في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا...﴾

فَأَمَّا رَبُّنَّاهُ أَكْرَهَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿213﴾

في هذه الآية دليلٌ على أن إطلاق البصر، والنظرة المحرّمة سببٌ في إثارة الشهوات المؤدية إلى فعل

الفواحش والمنكرات، ويستدل الباحث بما نقله أهل العلم بأن إطلاق النظر من طرف النسوة على يوسف

عليه السلام، كان سبباً في اشتراكهن مع امرأة العزيز في حادثة المراودة، هذا الاستدلال تبينه الآية في قوله

تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ النَّسِئِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾<sup>214</sup>،

وقولهم: بأن فعلة المراودة لم تكن من امرأة العزيز فحسب، بل كانت باشتراك جميع النسوة اللاتي حضرن

تلك المأدبة معها؛ وذلك بأن الصيغ التي ذكرها يوسف عليه السلام، جاءت في هذه الآية كلها بصيغة

الجمع: (يَدْعُونِي .. كَيْدَهُنَّ .. إِلَيْهِنَّ ..)، ويُستدل من صيغ الجمع بأن النسوة اشتركن بفعلة المراودة،

وبذلك بعد أن كانت فتنة واحدة، فتنة: امرأة العزيز صارت فتن جميع هاتيك الجميلات.<sup>215</sup>

ورؤية الباحث تؤيد ما نقله أهل العلم باشتراك النسوة بمراودة يوسف عليه السلام، وذلك في عدة أمور:

212 يُنظر: الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي - الحواطر. الناشر: مطابع أخبار اليوم ج. 16. ص. 10249.

213 القرآن. يوسف 12: 30-31

214 القرآن. يوسف 12: 33

215 يُنظر: شلي، محمود، 1402هـ، إني لأجد ربح يوسف، عمان: دار الفكر. ص 13

أ. ما جاء في قول امرأة العزيز للنسوة: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ..﴾ ، ما هو إلا اعتراف وانتصار

عليهن، هذا الانتصار جعلها تكشف عن نيتها بقولها: ﴿وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا

ءَأْمُرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَيَكُونًا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿216﴾

ب. هذا الاعتراف والكشف عن نيتها، شجّع النسوة على إعدار امرأة العزيز في طلبها للمرودة،

وذلك بعد التعجب والدهشة برؤية جمال يوسف عليه السلام، كما جاء في قولهن: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا

بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿217﴾ ، من شدة التعجب صرن مفتونات، بل وفاتنات، حتى حاولن إيقاعه في

حياتهن، وفي قول يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ الَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ..﴾ تأكيداً على ما ذهب

إليه أهل العلم على مرادهن واشتراكنهن في فعلة المرودة.

ت. يُفْهِمُ مِنَ الْآيَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتُنِّي يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ

مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ لَنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿218﴾

أن النسوة أيضاً قد راودنه عن نفسه، ولم يتم نفي هذا عن أنفسهن، بل حكمن ببراءة يوسف

وأكدت على هذا زوجة العزيز.

2. وأخيراً ما جاءت به السنة النبوية يؤكد خطر التساهل بالنظر إلى المحرمات وأنه طريق إلى ارتكاب

الفواحش، كما جاء من حديث ابن عباس رضي الله عنه بقوله؛ ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو

216 القرآن. يوسف 12: 32

217 القرآن. يوسف 12: 31

218 القرآن. يوسف 12: 51

هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب على ابن آدم حظَّهُ من الرِّبِّي أدرك ذلك لا محالة، فزنى العين النظر، وزنى اللسان النُّطق، والنفس تَمَّى وتشتهي، والفرج يُصَدِّق ذلك أو يُكذِّبُهُ».<sup>219</sup>

ثانياً: الاختلاط والخلوة والأضرار الناتجة عنها.

إذا عرف القارئ بأن آية المراودة في قوله تعالى: ﴿وَرَاودَتْهُ الْآنِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ..﴾<sup>220</sup>، قد سبقت مرحلة التعليق في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾، ومرحلة القول في قوله تعالى: "هَيَّتْ لَكَ"، أيقن لا محالة بأن امرأة العزيز قامت في تنفيذ رغبتها بعد هذا (التعليق والقول)، وبهذا يظهر للقارئ مخاطر الخلوة والاختلاط في وجود يوسف وغيره في مكان مغلق وبدون رقابة، وقد أشار الباحث إلى هذه المخاطر والأضرار في تفصيل دلالات آيات المراودة في خلوة امرأة العزيز مع يوسف واختلاطها المستمر معه. كما أشار إلى الأضرار الناتجة من إطلاق البصر وأنه الطريق المؤدي إلى ارتكاب الفواحش، وفي هذه الدراسة يستكمل الباحث أضرار الاختلاط والخلوة الناتجة عن تغليق الأبواب، المتمثلة في الآية؛ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجَا بُرْهَنَ رَبِّهٖءَ..﴾

1. الدلالات المستنبطة وأقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ

رَجَا بُرْهَنَ رَبِّهٖءَ﴾<sup>221</sup>

أ.الدلالات المستنبطة:

219 ابن حبان، محمد بن حبان. كتاب: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. باب ذكر وصف زنى العين واللسان على ابن آدم. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط. 2. 1414هـ. (267/10). رقم الحديث (4420) و(4421) و(4423).

220 القرآن. يوسف 12: 23

221 القرآن. يوسف 12: 24

يرى الباحث في مرحلة الهمم انحرافاً لمرأة العزيز في عدم سيطرتها على غريزتها، ودعوتها الصريحة

لمراودة يوسف، وطلبها للفاحشة وهي متزوجة قمة في الإذلال والانسلاخ من الفطرة، ودليل على أن الاختلاط والخلوة وسيلة لنشر الرذيلة، وسبباً في فساد المجتمع.

### ب. أقوال المفسرين والعلماء:

اختلف المفسرون في تفسير الهمم الذي جاء في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا﴾، وأصحها بمقام يوسف بل وأصوبها هو: "أن الهمم لم يتحقق بسبب ما رآه من آيات ربه، وذلك؛ لأن (لولا) في اللغة العربية لامتناع شيء لوجود غيره، أي: امتنع الهمم بسبب أنه رأى برهان ربه، ولا يقدر في هذا التفسير قول بعض النحاة: إن جواب "لولا" يأتي متأخراً، لأن لغة القرآن هي حجة للنحو، وليس النحو حجة على القرآن."<sup>222</sup>، وما ذهب إليه أبو حيان قوله: "البرهان الذي رآه يوسف هو ما آتاه الله تعالى من العلم الدال على تحريم ما حرمه الله، والله لا يمكن الهمم به فضلاً عن الوقوع فيه".<sup>223</sup>

ورؤية الباحث توافق الرأي الأول بأن يوسف عليه السلام كان بريئاً عن العمل الباطل والهمم المحرم، لرؤية برهان ربه، والأدلة كثيرة منها: شهادة امرأة العزيز نفسها، حين قالت ﴿وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَصَمَ ۖ﴾، ومنها قول يوسف مباشرة لقولها: ﴿هَيْتَ لَكَ ۖ﴾ ، قال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ ۖ﴾ ، وفي إقرار إبليس بطهارة يوسف ونزاهته في قوله تعالى: ﴿قَالَ نِعَزُّنَكَ لِأَعْيُنِنَهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾<sup>224</sup>، فأقر أنه لا يمكنه إغواء المخلصين، ولا شك أن يوسف عليه السلام من المخلصين،

222 القره داغي، علي محي الدين، 2018، يوسف عليه السلام قادة للمسلمين في غير ديارهم. العراق: دار النداء، ط1، ص. 67.

223 أبو حيان الأندلسي، 1420م، البحر المحييط في التفسير، بيروت: دار الفكر، تحقيق: صدقي محمد جميل، ج.6، ص. 295.

224 القرآن. ص 38: 82-83

كما صرح تعالى به بقوله: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾<sup>225</sup>،

"فظهرت دلالة القرآن من جهات متعددة على براءته مما لا ينبغي".<sup>226</sup>

#### 3.4.4 الخلاصة:

يخلص الباحث في نهاية الفصل إلى العواقب الوخيمة والأضرار الناتجة عن الاختلاط والخلوة والمرادة

المؤدية لتأجيج شهوة الجنس، والمسببة للوقوع بالفواحش في عدة نقاط وهي:

1. كما أن غض البصر أدب من آداب الإسلام المؤدية لصيانة الأعراض وحفظ الأنساب، فإن

النظر المحرم أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان، وإطلاق البصر بدون ضوابط شرعية يورد الناس إلى موارد المهلكات وسبباً بالوقوع في الفواحش.

2. الاختلاط يُجزيء على المعصية ويقوي من دافعها، وفعلة المرادة ليوسف عليه السلام؛ ما جاءت

إلا بعد طول مكوثه بينها، ودوام مخالطته لها، مما ولّد الألفة والأنس في قلبها، فكسر الحواجز لديها.

3. عدم سيطرة المرأة على غريزتها، وطلبها للفاحشة، يمثل أدنى معاني الانحطاط، واتلاف القيم

وتدمير الأخلاق، وسبيلٌ إلى الانحراف.

4. الاختلاط والخلوة دليلٌ على ضعف الإيمان، وضرر على الدين والدنيا، وخروج عن الفطرة التي

فطر الله الناس عليها، ومخالفٌ للقيم الإسلامية.

5. الاختلاط والخلوة أصل كل فتنة وبلاء؛ لأن الإسلام لا يجرم شيئاً إلا للضرر فيه محض، أو لأغلبية

ضرره على منفعتة، فإطلاق اختلاط النساء بالرجال ضرر محض من وجه، وضرر أغلب من وجه آخر.

225 القرآن. يوسف 12: 24

226 الشنقيطي. محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن. ج 2. ص. 207.

6. اختلاط النساء بالرجال يذهب الحياء؛ لأن الرسول ﷺ قال: «الحياء من الإيمان»<sup>227</sup>

7. اتباع خطوات الشيطان، القائم على هوى النفس وشهوتها، يعد من أهم أسباب إقدام الإنسان على المعصية، لأن في اتباعها وعدم تزكيتها، وتهذيب طباعها، من الأمراض الخطيرة المؤدية إلى السلوك الانحرافي.

8. أعظم صور الغواية والإغراء المؤدية إلى هتك الأعراض؛ التهيؤ والتجمل وإبداء الزينة وتعليق الأبواب.

9. ثبات يوسف عليه السلام في مواجهة المحن، بصبره وعفته وتقواه، من أقوى العوامل التي تساعد المؤمن على تهذيب الشهوة، ودرساً عملياً للتحلي بفضائل الأخلاق.

227 البخاري. كتاب صحيح البخاري. باب الحياء من الإيمان، (14/1). رقم الحديث (24) و(6188).